حَقِيقَةُ

التَّصَوُّفِ الإِسْلامِيّ

الشيخ الدكتور عِمادُ الدِّينِ جَميل حَليم الهاشمي الحُسَيْني
الشّافِعي الأَشْعَري الرّفاعي القادِري
رئيس جمعية المشايخ الصوفية

شركة دار المشاريع

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م

شركة دار المشاريع

بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان

شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع ش م م

ISBN 978-9953-20-752-0

email: dar.nashr@gmail.com
www.dmcpublisher.com

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطاَّهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمّة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تعرض عليه عقائد الناس، فمن كذبها فلا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يكشف زيف الباطل وزيغه، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهم لخصوص الغرض وعموم النّفع.

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنّهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَ والسفليَ والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ وما

فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حيّ قيّومٌ لا تأخذُهُ سنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ، والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيء عددًا، فعالٌ لما يريد، قادرٌ على ما يشاء، له الملكُ وله الغنى، وله العزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يفعلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويحكمُ في خلقِهِ بما يشاءُ، لا يرجو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليه حقٌ [يلزمه] ولا عليه حكمٌ، وكلّ نعمةٍ منْهُ فضلٌ وكل نِقمةٍ منه عدلٌ، لا يسألُ عمّا يفعَلُ وهم يسألونَ. موجودٌ قبلَ الخلقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ، ولا يقالُ متىَ كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ،

ولا يتخصَصُ بالذّهنِ، ولا يتمثّلُ في النّفسِ، ولا يُتصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأنّا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذ صاحبة وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأول القديم الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجه من الوجوه، لا شبيه ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له، فلا حجمَ له ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتِّساعَ له، ولا جهةَ ولا حيِّزَ له، ولا أينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمـن على العرش استوى استواءً منزهًا عن المماسة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهارًا لقدرته ولم يتَّخِذه مكانًا

لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالسٌ على العرش فهو كافر، الرّحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهرٌ للعرش مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاء، تنزَّه وتقدَّسَ ربّي عن الحركة والسكون، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسِّ والمسافة، وعن التَّحوُّل والزّوال والانتقال، جلَّ ربّي لا تُحيط به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إله إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِماتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسِّ[١] ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسّم كافر وإن صام وصلّى صورةً، فالله ليس شبحًا وليس شخصًا، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا لا روح له، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ

---

١) أي أنَّ الله منزهٌ عن الشَّمِّ والذَّوق والإحساس وسائر صفاتِ المخلوقين وليس معناه أنه لا يُتوصلَ إلى معرفتِهِ بالعقل السليم.

والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شىء، ولا يَنْحَلُّ منه شىء، ولا يَحُلُ هو في شىء، لأنه ليس كمثله شىء، فمن زعم أنّ الله في شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك، إذ لو كان في شىء لكان محصورًا، ولو كان من شىء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شىء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعّض ولا يتعدّد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام، هو صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصّفةِ يستلزمُ حدوثَ الذّاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾،

﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴾، ومن زعم أنّ إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات السّت كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحّة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجنّ والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبّات الرّمال والحصى في السّهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه

الأزلي والإنس والجنّ والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أنّ سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعيننا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا، عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هادِيًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلّى الله عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشّرين بالجنّة الأتقياء البررة وعن أمّهات المؤمنين زوجات النّبي الطاهرات النّقيات المبرّءات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحقّ الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمّة الإسلامية، والحمد لله ربّ العالمين.

مقدّمة

الحمد لله الموجود أزلاً وأبدًا بلا مكان، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد سيّد ولد عدنان وأفضل الخلائق والعالمين والأكوان وعلى آله ذوي العرفان وصحابته أهل الشّرف والشان وعلى جميع إخوانه النبيّين والمرسلين ومن على دربهم سار واستقام وأمر بالمعروف والحقّ ونهى عن المنكر والباطل وما لان.

وبعد، فقد جمعت في هذا الكتاب فصولاً موجزة تبيّن حقيقة التصوف في الإسلام الموافقة لتعاليم وأحوال سيد البشر محمّد رسول الله ﷺ لعلها تذكّر العاقل وتنبّه الغافل، إذ من المفيد لكل مسلم أراد التصوّف أن يتعرف إلى سيرة وشمائل وأحوال الرسول الطاهرة ليسير بنور سيرته ويتأسى بكمال أخلاقه ﷺ، لأن الصوفية الحقّة هي اقتفاء طريق المصطفى ﷺ وقد أسميته **حقيقة التصوف الإسلامي**، راجيًا من الله أن ينتفع به كل من اطلع عليه.

وممّا دفعني إلى ذلك الرغبة الصادقة في إظهار الفرق بين حقيقة الصوفي الصادق الذي هو على هدى النبي ﷺ من دجل وافتراء وجهل المُتَصَوِّف الذي يدعي التصوف وهو منه بعيد، وهو الذي دفعه جهله إلى مخالفة الشريعة متوهمًا ما وسوس له الشيطان من أن الباطن يخالف الظاهر فأوقعه في الخطر المحدق غافلًا أن الصوفي الحقيقي الصادق ظاهره هو لُبّ باطنه.

وزاد الطغيان في هذا الزمان حتى نقض بعضهم عرى الإيمان وروّجوا مقالات وافتروا على أصحاب الطُّرق الصحيحة بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان وغاصوا في مهالك الكفر والارتداد وخاضوا في عقائد الحلول والاتحاد وسلكوا طرق الزندقة والإلحاد.

أسأل الله التوفيق والإخلاص في النية والقول والعمل بجاه نبيّنا محمّد عليه الصلاة والسلام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله المتعزز بجلاله وجبروته عن لواحق الظنون، المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين، المتنزه بصفاته عن صفات المحدثين، القديم الذي لم يزل والباقي الذي لا يزال، المتعالي عن الأشباه والأضداد والأشكال، الدال لخلقه على وحدانيته بأعلامه وآياته، المتعرف إلى أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته، المقرب أسرارهم منه، العاطف بقلوبهم عليه، المقبل[١] عليهم بلطفه، الجاذب لهم إليه بعطفه[٢]. طهّر عن أدناس النفوس أسرارهم، وأجلّ عن موافقة الرسوم أقدارهم، سبقت لهم من الله الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة، ثبتت أقدامهم، وزكت أفهامهم، وأنارت أعلامهم، فهموا عن الله فعرفوا ما يحبّ وما يكره، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون،

---

١) المقبل أي المكرم.

٢) عطفه أي رحمته وفضله.

وفي الأرض سماويون، ومع الخلق ربانيون، سكوتٌ نُظَّار، غُيَّبٌ حُضَّار، ملوك تحت أطمار، أنزاع قبائل، وأصحاب فضائل، وأنوار دلائل، ءاذانهم واعية، وأسرارهم صافية، ونعوتهم خافية، صفوية صوفية، نورية صفية، ودائع الله بين خليقته، وصفوته بين بريته، ووصاياه لنبيّه، وخباياه عند صَفِيّه، هم في حياته أهل صُفّته، وبعد وفاته خيار أمته، لم يزل يدعو الأول الثاني، والسابق التالي بلسان فعله، أغناه ذلك عن قوله.

حتى قل الرَّغَب وفتر الطلب، فصار الحال أجوبة ومسائل، وكتبا ورسائل، فالمعاني لأربابها قريبة، والصدور لفهمها رحيبة.

إلى أن ذهب المعنى وبقي الاسم، وغابت الحقيقة وحصل الرسم، فصار التحقيق حِلية، والتصديق زينة، وادَّعاه من لم يعرفه، وتحلَّى به من لم يصفه، وأنكره بفعله من أقرَّ به بلسانه، وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه، وأدخل فيه ما ليس فيه، فجعل حقَّه باطلًا، وسمَّى عالـمَه جاهلًا، وانفرد المتحقق فيه ضَنًّا به، وسكت الواصف له غَيرة عليه، فنفرت القلوب منه، وانصرفت النفس عنه، فذهب العلم وأهله،

والبيان وفعله، فصار الجهّال علماء، والعلماء أذلاء.

فدعانا ذلك إلى أن نبين في هذه العجالة وصف طريقتهم وبيان نِحلتهم وسيرتهم من القول في العقيدة والأحكام وسائر ما يتصل به ممن وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، فكشفنا بلسان العلم ما أمكن كشفه، ووصفنا بظاهر البيان ما صلح وصفه لينتفي عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقهم، مفتقرين إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه وبالله نستعين وعليه نتوكل وعلى نبيه نصلي وبه نتوسل.

لِمَ سُميت الصوفية صوفية

قال بعض العلماء: «إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء ءاثارها».

وقال قوم: «إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَّة الذين كانوا على عهد رسول الله».

وقال آخرون: «إنما سُمُّوا صوفيّة لِلُبسِهُمُ الصّوف».

وأما من نسبهم إلى الصُّفّة والصّوف فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأَعْرَوُا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسَدِّ جَوْعة.

فلِخروجهم عن الأوطان سُمُّوا غرباء ولكثرة أسفارهم سُمُّوا سَيّاحين.

ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار (شَكْفَتيّة) والشَّكفتُ بلغتهم الغار والكهف.

وأهل الشام سموهم (جُوعِيّة) لأنهم إنّما ينالون من

الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة كما قال النّبيّ ﷺ: «**بِحَسْبِ ابنِ ءادم لُقَيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه**».

للباسهم وزِيّهم سُمُّوا صوفيّة لأنهم لم يلبَسوا لحظوظ النفس ما لانَ مَسُّهُ وحَسُن منظره وإنما لبسوا لستر العورة وقنعوا بالخشن من الشعر والغليظ من الصوف.

وليعلم أن اسم الصوفي لم يكن في الصدر الأول لكن المعنى كان موجودا فقد قال الحسن البصري: «**كان عيسى عليه السلام يلبس الشعر ويأكل من الشجرة ويبيت حيث أمسى**».

وقال الحسن البصري: «**لقد أدركت سبعين بدريًّا ما كان لباسهم إلا الصّوف**».

وقال أبو موسى: «**كان النّبيّ ﷺ يلبَس الصّوف ويركب الحمار ويأتي مَدْعاةَ الضعيف**».

وقال أبو هريرة وفَضَالةُ بن عبيد رضي الله عنهما في وصف أهل الصفة: «**يَخِرُّون من الجوع حتى تحسبُهُمُ الأعراب مجانين وكان لباسهم الصّوف حتى إن كان بعضُهم يعرق فيه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه المطر**» وقال عيينة ابن حِصن للنّبيّ ﷺ: «**إنه ليُؤذيني ريحُ هؤلاء أما يؤذيك ريحُهم**».

وأما اسم (الصوفي) فلم يعرف إلا في المائتين من الهجرة الشريفة لأنه في زمن رسول الله ﷺ كان أصحاب الرسول ﷺ يسمّون الرجل صحابيًّا لشرف صحبته رسول الله ﷺ وكون الإشارة إليها أولى من كل إشارة، وبعد انقراض عهد رسول الله ﷺ سُمِّيَ مَن أخذ منهم العلم تابعيًّا، ثم لما تقادم زمان الرسالة وبَعُد عهدُ النبوة وانقطع الوحي السّماوي واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكَدَّر شُربَ العلوم شُوَبُ الأهوية، وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خُطَّابها، وتفردت طائفة بأعمال صالحة وأحوال سَنِيَّة وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أُسوة بأهل الصُّفّة، تاركين للأسباب متبتلين إلى ربّ الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سَنِيَّ الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم، وصار لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الإيمان إيمان كما قال حارثة بن مالك رضي الله عنه حين سأله رسول الله:

«كيف أصبحت يا حارثة، فقال: أصبحت مؤمنا حقا» حيث كوشف برتبة في الإيمان غيرِ ما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها وإشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير إلى معان يعرفونها وتعرب عن أحوال يجدونها، فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسمًا مستمرًّا وخبرًا مستقرًّا في كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتَسَمَّوْا به وسَمُّوا به.

من هو الصوفي:

قال بشر بن الحارث: **«الصوفي من صفا قلبه لله»**

وقال بعضهم: **«الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته»**.

وقيل لبعضهم من الصوفي؟ فقال: **«الذي لا يَملِكُ ولا يُملَك»** يعني لا يَسْتَرِقُّه الطَّمَع.

وقال آخر: **«هو الذي لا يَمْلِكُ شيئًا وإن مَلَكَه بَذَلَه»**.

وسُئِل سهل بن عبد الله التُّستَري: مَن الصّوفي فقال **«مَن صَفَا مِنَ الكَدَر وامتلأ مِن الفِكَر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهبُ والمَدَر»**.

وسُئل الجنيد سيد الطائفة الصوفية عن التصوف فقال: «**تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أَوْلَى على الأبدية والنُّصح لجميع الأمّة والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرّسول ﷺ في الشريعة**».

وقال ابن الحاج المالكي:

ليس التصوفُ لبسَ الصوف تَرقعُه
ولا بكاؤك إن غنّى المغنونا
ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا اختباط كأن قد صرتَ مجنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرءان والدِّينا
وأن تُرى خاشعًا لله مكتئبًا
على ذنوبك طولَ الدهر محزونا

وقال أبوعلي الروذباري: «**الصوفي من لبس الصوف على الصفا، وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى**».

فمن هذه الأقوال الذهبية والدرر الماسية يتبين لنا أن التصوف الحقيقي ليس مجرد جبة صوف وضرب دفوف وتمايل صفوف ووضع الشرع على الرفوف، بل إن التصوف الحقيقي هو كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير: «**طريقنا علم وعمل**» علم بالأحكام الشرعية وأعلاها وأوجبها علم العقيدة المتعلق بمعرفة ما يجب لله من الصفات وما يستحيل عليه من الصفات ومعرفة أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم وما يجب لهم وما يستحيل عليهم وعمل بالأحكام الشرعية من صلاة وصيام وحج وزكاة إلى غير ذلك من الواجبات.

قال الشيخ الحافظ المحدث الهرري رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ ﴾: «**أي لينظر المرء ما يعد ويقدم لآخرته من العمل الصالح، والآخرة ينفع فيها تقوى الله. والتقوى هي أداء الواجبات واجتناب المحرّمات، ومن جملة الواجبات تعلم العلم الشرعي، فلا يكون العبد من المتقين ما لم يتعلم ما فرض الله على عباده معرفته من علم دينه، فلا يكون مثل هذا مُتقيًا مهما أتعب نفسه في العبادات وجاهد نفسه بتحمل مشقات العبادة وكفها عن هواها.**

وأكثر المتصوفة اليوم لا يطلبون العلم الشرعي إلى القدر الكافي إنما يميلون إلى الإكثار من الذكر فهؤلاء لا يصيرون من أولياء الله الصالحين مهما تعبوا ومهما صحبوا أولياء الله وخدموهم إلا إذا أتتهم نفحة فيتعلمون ويجدون في العمل، فهؤلاء من أهل العناية، وأما الذين بقوا على ما هم عليه من الجهل وظنوا أنهم يصلون إلى الله بالذكر ومحبة الأولياء فهؤلاء مخدوعون».

فيجب الحذر من بعض أدعياء التصوف الذين شوهوا صورة التصوف الإسلامي الحقيقي فأسقطوا الواجبات وأباحوا المحظورات ومن هؤلاء فرقة تسمى التيجانية ظهرت في المغرب منذ نحو مائتي وسبعين سنة تنتسب إلى الشيخ أبي العباس التيجاني رحمه الله الذي هو بريء مما ألصق بطريقته من التحريف والشذوذ؛ فإنه كان عالما أشعريًّا. يقول هؤلاء المحرفون في كتبهم: «إن الذي يأخذ طريقتنا يصير أفضل من القطب من غيرنا»، وهذا خلاف قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ فالإنسان تكون منزلته أعلى عند الله بحسب التقوى، فمن كان أتقى لله يكون عند الله أعلى درجة ولو لم يكن له طريقة يلتزمها،

ويقولون في بعض مؤلفاتهم: «إن الشيخ أبا العباس التيجاني أفضل أولياء الله من أيام آدم إلى أن تقوم الساعة»، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم فإن الإجماع منعقد على أن أفضل أولياء الأمة هم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان ثم بقية الأكابر من أولياء الصحابة والتابعين كأويس القرني الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر من قرن ثم من مراد**» الحديثَ. ثم بعد ذلك أولياء الله الذين منهم السيد أحمد الرفاعي الكبير والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد أحمد البدوي وأمثالهم.

ومن الفرق المنحرفة التي يجب الحذر منها فرقة تسمى الشاذلية اليشرطية، وهؤلاء ينتسبون إلى الشيخ علي نور الدين اليشرطي وهو مغربي الأصل نزل في عكا في فلسطين وكان رجلًا صالحًا من أصحاب الكرامات انتشرت طريقته في بعض البلاد كلبنان وسوريا، فحرّفها بعض من ينتسب إليه وأدخلوا فيها ما لم ينزل الله به من سلطان بل إنهم وقعوا في أكفر الكفر فقالوا: إن الله داخل في كل شخص منا رجل أو امراة في كل فرد من أفراد البشر، هكذا يعتقدون. وحرّفوا

قول الله تعالى ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ يقولون: «القيوم معناه القائم فينا»، ثم شيخهم لما علم بهذا التحريف تبرأ منهم وسلم مشيخة الطريقة في لبنان إلى مفتي بيروت ءانذاك الشيخ مصطفى نجا رحمه الله الذي كان من علماء لبنان والأولياء الأجلاء فصار يُحذّر منهم، ومن هذا التحريف والشطحات المهلكة.

وإنما دخل هذا الفساد على بعض المتصوفة بسبب قلة العلم وعدم اتباع الشرع المحمّدي لذلك كان لزاما علينا أن نبين عقيدة الصّوفية ومنهجهم الصحيح.

مُعتقد الصّوفية

قولهم في التوحيد:

اجتمعت الصوفية على أن الله واحد لا شريك له، فرد صمد، قديم لا ابتداء لوجوده، عالم لا تخفى عليه خافية، قادر على تكوين ما سبقت به إرادته، فعال لما يريد لا يعجزه عن ذلك شيء ولا تخلف لمراده وهو سبحانه مدبّر كل شيء، حي لا كحياتنا، متعال عن النقص والسوء، موصوف بكل كمال يليق به، منزّه عن كل نقص في حقه، مسمّى بكل ما سمّى به نفسه، لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه، لا يشبه ذاته الذوات ولا صفاته الصفات، لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدّالة على حدثهم، لم يزل سابقًا متقدمًا للمحدثات موجودًا قبل كل شيء، لا قديم غيره ولا إله سواه.

ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرّك ولا يسكن، ولا ينقص ولا يزداد، ليس بذي أبعاض ولا أجزاء،

ولا جوارح ولا أعضاء ولا بذي جهات ولا أماكن، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السّنات، ولا تداوله الأوقات، ولا تعيّنه الإشارات، لا يحويه مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسّة ولا العُزلة ولا الحلول في الأماكن، ولا تحيط به الأفكار، ولا تحجبه الأستار، ولا تدركه الأبصار.

فِعلُه من غير مباشرة، وتفهيمه من غير ملاقاة، وهدايته من غير إيماء، لا تَنَازَعه الهِمَم، ولا تخالطه الأفكار، ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف.

لا تحيط به العيون، ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته، ولا تتبدّل أسماؤه، لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك، هو الأوّل الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظّاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء، موجود بلا كيف ولا مكان وهو بكل شيء عليم، علمه ليس كعلمنا، يعلم الأشياء قبل حدوثها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ سمعه

وبصره ليس كأسماع وأبصار الورى فهم يسمعون بالأذن والصماخ وتموج الهواء ويبصرون بالحدقة وانعكاس الصور في الضوء والنور والله سبحانه منزه عن ذلك كله، يسمع الأصوات بسمع أزلي أبدي ليس بسمع حادث عند حدوث الأصوات ويرى برؤية أزلية ليست حادثة عند وجود المبصرات.

وكلامه قديم أزلي لا ابتداء له كسائر صفاته لأن الذات الأزلي لا يقوم به صفة حادثة وما كان كذلك لا يكون حرفًا وصوتًا ولغة ولا يُبتَدَأُ ولا يُختَتَم، فمن تكلّم بالحروف فهو معلول ومَن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر.

وكلام الله أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد وقصص وأمثال، والله لم يزل ءامرًا ناهيًا مخبِرًا واعدًا موعِدًا حامدًا ذامًّا. فالقرءان والتوراة والإنجيل والزّبور وسائر الكتب السماوية إن قصد بها الكلام الذاتي فهي أزلية ليست بحرف ولا صوت، وإن قصد بها اللفظ المنزّل الذي بعضه بلغة العرب وبعضه بالعبرانية **وبعضه بالسُّريانية** فهو حادث مخلوق لله لكنها ليست من تصنيف ملك ولا بشر فهي عبارات عن الكلام الذاتي الذي لا يوصف بأنه عربي

ولا بأنه عبراني ولا بأنه سرياني، وكلٌّ يطلق عليه كلام الله، أي أنّ صفة الكلام القائمة بذات الله أي الثابتة له سبحانه يقال لها كلام الله، واللفظ المنزّل الذي هو عبارة عنه يقال له كلام الله.

وتقريب ذلك أنّ لفظ الجلالة (الله) عبارة عن ذات أزلي قديم أبدي، فإذا قلنا (نعبد الله) فذلك الذات هو المقصود، وإذا كُتِبَ هذا اللفظ فقيل: ما هذا؟ يقال (الله) بمعنى أنّ هذه الحروف تدلُّ على ذلك الذات الأزلي الأبدي لا بمعنى أنّ هذه الحروف هي الذات الذي نعبده، فتبيّن من ذلك كله أنّ القرءان له إطلاقان أي له معنيان:

الأول: إطلاقه على الكلام الذاتي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربيةٍ ولا غيرها.

والثّاني: إطلاقه على اللفظ المنزّل الذي يقرؤه المؤمنون.

قولهم في المحكم والمتشابه من الكتاب والسنّة:

وأجمعوا أن القرءان فيه ءايات محكمات وفيه ءايات متشابهات، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى

قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ والمحكمات هي التي دِلالتها على المراد واضحة، والمتشابهةُ هي التي دِلالتها على المراد غيرُ واضحة، وقد ذمّ الله تعالى الذين يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة أي الزّيغ أي ابتغاء الإيقاع في الأمر المحظور وهو التشبيه، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل الأهواء كالمعتزلة والوهّابية وأمثالهم.

وقد سمّى الله تعالى المحكمات أمَّ الكتاب أي أمَّ القرءان لأنّها الأصل الذي تُردُّ إليها المتشابهات، مثل قوله تعالى ﴿ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ أي مِثلًا أي ليس له مثيلٌ ولا شبيه وكقوله تعالى ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾.

ثمّ المتشابه قسمان: أحدهما ما لا يعلمه إلا الله كوجبة القيامة، والثاني يعلمه الرّاسخون في العلم كمعنى الاستواء المذكور في قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ فإنّ الراسخين فسّروه بالقهر.

وقالوا إنّ كلّ ما ورد في القرءان الكريم أو في الحديث الشريف مما ظاهره يوهم التشبيه لله تعالى بخلقه فهو قطعًا

ليس على الظاهر وإنّما له معنًى يليق بالله سبحانه وتعالى ثم سلكوا في ذلك مسلكين فغلب على السلف منهم تأويل هذه الآيات والأحاديث تأويلًا إجماليًّا بالإيمان بها واعتقاد أنّ لها معانيَ تليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعيين كآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وحديث النّزول الذي فيه «**ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدّنيا حين يبقى ثُلُث الليل الآخرُ فيقول من يدعوني فأستجيبَ له ومن يسألني فأُعطيَه ومن يستغفرني فأغفرَ له**» بأن يقولوا **بلا كيف** أو **على ما يليق بالله** أي من غير أن يكون بهيئة، من غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والجوارح والطّول والعرض والعمق والـمِساحة والحركة والسكون والانفعال ممّا هو صفة حادثة وهو كما قال الإمام الشّافعي رضي الله عنه: «**ءامنتُ بما جاء عن الله على مُرادِ الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله**» يعني رضي الله عنه لا على ما تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسيّة الجسميّة التي لا تجوز في حقّ الله تعالى.

وأما الخلف فغلب عليهم التأويل التفصيلي وذلك بتعيين معانٍ لهذه الآيات والأحاديث المتشابهة مما تقتضيه لغة العرب

ويليق بجلال الله سبحانه وتعالى فقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قهر العرش ومعنى قهر الله للعرش الذي هو أعظم المخلوقات أنّ العرش تحت تصرّف الله، هو خلَقَه وهو يحفظه، يحفظ عليه وجوده، ولولا حفظ الله تعالى له لَهَوى إلى الأسفل فتحطّم، فالله تعالى هو أوجده ثم هو حفظه وأبقاه. وفائدة تخصيص العرش بالذّكر لأنّه أعظم مخلوقات الله تعالى حجمًا فيُعلم شمول ما دونه من باب الأولى. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**إنّ الله خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتّخذه مكانًا لذاته**».

وليعلم أنّه يجب الحذر من هؤلاء الذين يجيزون على الله القعود على العرش والاستقرار عليه مفسرين لقوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ بالجلوس أو المحاذاة من فوق وهؤلاء هم الوهّابية وقبلهم أناسٌ كانوا يعتقدون ذلك ففسّروا الآية بالجلوس مدّعين أنّه لا يعقل موجود إلا في مكان وحجتهم داحضة لأنه ليس من شرط الوجود التحيّز في المكان، أليس الله كان موجودًا قبل المكان والزمان وكلِّ ما سواه بشهادة حديث «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»؟! فالمكان غيرُ الله والجهات والحجم غيرُ الله فإذا صحَّ وجوده

تعالى شرعًا وعقلًا قبل المكان والجهات بلا مكان ولا جهة فكيف يستحيل على زعم هؤلاء وجوده تعالى بلا مكان بعد خلق المكان والجهات؟!

ومصيبة هؤلاء أنّهم قاسوا الخالق على المخلوق، قالوا: كما لا يعقل وجود إنسان أو مَلَك أو غيرِ ذلك من الأجسام بلا مكان يستحيل وجود الله بلا مكان، فهلكوا.

ومن سخافة عقولهم أنهم قالوا: إنّ جهة فوق تليق بالله وجهة تحت نقص على الله فلذلك لا نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة فوق بل نؤول الآيات والأحاديث التي تدلّ ظواهرها على أنّه في جهة تحت، فالجواب: أنّ جهة فوق مسكن الملائكة، وكذلك مدار النّجوم والشمس والقمر جهة فوق وليس هؤلاء أفضل من الأنبياء الذين منشؤهم في جهة تحت وحياتهم في جهة تحت إلى أن يموتوا فيدفنوا فيها، والأنبياء أفضل من الملائكة لأنّ الله أمر الملائكة بالسجود لآدم تحيّةً فسجدوا له والمسجود له أفضل من السّاجد فبطل قولهم: إنّ جهة فوق كمال لله وجهة التحت نقص على الله، لأنّ الله لا يتشرّف بشيء من خلقه، فلا يتشرّف بالعرش، ولا بالسّماء ولا بالجهات، ومن

زعم ذلك جعل الله محتاجًا لغيره والاحتياج مستحيل على الله بل التحيّز في جهة فوق أو غيرها نقص على الله لأنّه يلزم من التحيّز أن يكون له حدٌّ ومقدار والمقدار للمخلوق قال الله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ العرش له مقدار والذرّة لها مقدار وكذلك ما بينهما من الأحجام والأجسام المختلفة.

ثمّ إنّ الملِك والسلطان قد يكونان يسكنان في بطن الوادي وحرّاسُهما يكونون في الأعالي، فهذا القياس الذي تعتبره الوهابية هو قياس فاسد لا يلتفت إليه إلا من هو ضعيف العقل فاسد الفهم، فعقيدة الصوفية هي كما قال السيد أحمد الرفاعي الكبير قدّس الله سرّه: «**غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان**». وقال رضي الله عنه: «**إيّاكم والتمسّك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنّة فإنّ ذلك من أصول الكفر**».

والفوقيّة بمعنى القهر دون المكان والجهة جاءت في نحو قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ وقوله عزّ وجلّ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾.

وأما حديث النّزول السّابق الذكر فأحسن ما يقال في

ذلك هو نزول الـمَلَكِ بأمر الله فينادي مبلّغًا عن الله تلك الكلمات: «**مَن ذا الذي يدعوني فأستجيبَ له مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له مَن ذا الذي يسألني فأُعطِيَه**» فيمكثُ الـمَلَكُ في السّماء الدّنيا من الثُّلُثِ الأخير من الليل إلى الفجر.

وقالوا في تأويل قوله تعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ إنّ الكلم الطيب كلا إله إلا الله والعمل الصالح كل ذلك يصعد إلى محل كرامته وهو السّماء والمعنى أنّ الله تعالى يتقبّله، فالسّماء محلّ كرامة الله أي المكان الذي هو مشرّف عند الله لأنّها مسكن الملائكة وقِبلة دعاء الداعين كما أنّ الكعبة قبلة المصلّين.

وقالوا في تأويل قوله تعالى ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ المراد بمن في السّماء الملائكة فإنّ الله يسلطهم على الكفّار إذا أراد أن يُحِلَّ عليهم عقوبته في الدّنيا، ومثل ذلك حديث: «**إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء**» فإن المراد به الملائكة كما ذكر الحافظ العراقي.

وقالوا في تفسير قوله عزّ وجل ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ وقوله سبحانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ

مُّحِيطًا ﴾ إنّ الله أحاط بكل شيء علمًا، محيط علمًا بالكائنات التي تحدث إلى ما لا نهاية له، حتى ما يحدث في الدّار الآخرة التي لا انقطاع لها، يعلم ذلك جملةً وتفصيلًا. وعلى معنى الإحاطة بالعلم فسّرت المعيّة الواردة في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أي عالم بنا أينما كنّا.

وعلى معنى العلم أيضا يحمل حديث: «**أيّها النّاس إنّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا إنّما تدعون سميعًا قريبًا والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم**». وقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾.

ومعنى قوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا ملكَه أي إلا سلطانه فملك الله أزلي أبدي لا يفنى وملك غيره يفنى، مُلك الملوك الكفار كنمرود وفرعون الذين أعطاهم الله تبارك وتعالى هذا الملك الذي هو غير أبدي يفنى وملك أحباب الله كسليمان وذي القرنين يفنى، أما ملك الله فهو صفة من صفاته.

وقال بعضهم ﴿ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ إلا ما أريد به وجهه، أي الأعمال الصالحة تبقى قال الله تعالى ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾.

ويأتي الوجه بمعنى الذات كما في قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ فالعالم وما فيه يفنى والله باق لا يفنى ولا يَبيد.

كما يأتي بمعنى الطاعة كحديث: «**أقربُ ما تكون المرأة إلى وجه الله إذا كانت في قعر بيتها**» أي أقرب ما تكون المرأة من طاعة الله إذا لزمت بيتها ولم تخرج منه لغير ضرورة.

وأمّا قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ﴾ فمعناه فأينما توجهوا وجوهكم في صلاة النفل في السفر فثَمَّ قِبلة الله، أي فتلك الوِجهة التي توجهتم إليها هي قِبلة لكم.

وقالوا في تفسير قوله تعالى في سفينة نوح عليه السّلام ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ و﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ وفي حقّ سيدنا موسى عليه السّلام ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ معناه الحفظ والرعاية.

وقالوا في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ ﴾ اليد تأتي بمعنى القدرة والقدرة هي القوة وتأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ

﴿فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي عهد الله فوق عهودهم أي ثبت عليهم عهد الله لأنّ معاهدتهم للرسول تحت شجرة الرضوان في الحديبية على أن لا يفرّوا معاهدة لله تبارك وتعالى لأنّ الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بهذه المبايعة.

وقالوا في قوله تعالى في حقّ سيّدنا ءادم عليه السّلام ﴿مِن رُّوحِى﴾ وفي حقّ سيدنا عيسى عليه السّلام ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ إنّ الله خالق الرّوح والجسد فليس روحًا ولا جسدًا ومع ذلك أضاف الله تعالى روح ءادم وعيسى عليهما السّلام إلى نفسه على معنى الـمِلك والتّشريف لا للجُزئية والتبعيض وذلك للدّلالة على شرفهما عند الله تعالى، وعلى معنى التشريف يحمل أيضًا قوله تعالى عن الكعبة ﴿بَيۡتِيَ﴾ وعن ناقة سيّدنا صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾.

وأوّلوا النّور الوارد في قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بنور الهداية ومعناه أنّ الله تعالى هادي أهل السماوات وهم الملائكة والمؤمنين من أهل الأرض من إنس وجنّ إلى نور الإيمان والذي في ءاخر الآية ﴿يَهۡدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يفسّر ما في أوّلها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، فالله تعالى ليس نورًا بمعنى الضوء بل هو الذي

خلق النّور قال تعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ أي خلق الظلمات والنّور فكيف يمكن أن يكون نورًا كخلقه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

قولهم في الرّؤية:

وأجمعوا على أنّ الله تعالى يُرى بالأبصار في الآخرة يراه أهل الجنّة وهم في الجنّة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة أي أنّه تعالى لا يكون في جهة ولا مكان إنّما هم في مكانهم في الجنّة. وأنّه يراه المؤمنون دون الكافرين لأنّ ذلك كرامةٌ من الله تعالى لقوله ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وجوّزوا الرّؤية بالعقل وأوجبوها بالسّمع وإنّما جاز في العقل لأنّه موجود وكلّ موجود فجائز رؤيته إذا وضع الله تعالى فينا الرّؤية له، ولو لم تكن الرّؤية جائزة عليه لكان سؤال موسى عليه السّلام ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ جهلًا وكُفرًا، ولـمّا علّق الله الرّؤية باستقرار الجبل بقوله ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ وكان ممكنًا في العقل استقراره لو أقرَّه الله وجب أن تكون الرّؤية المعلّقة به جائزةً في العقل ممكنةً. فإذا ثبت جوازه في العقل، ثمّ جاء السّمع بوجوبه بقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ وقال

النّبيّ ﷺ: «**إنّكم سترون ربّكم**» والأخبار في هذا مشهورة متواترة، وجب القول به والإيمان والتصديق له.

قولهم في الأنبياء والرّسل:

وأجمعوا على أنّ الله أرسل أنبياء ورسلًا أوّلهم ءادم عليه السّلام أبو البشر وخاتمهم محمّد ﷺ من لا نبي بعده، دينهم واحد هو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ وشرائعهم مختلفة، جمّلهم الله بأحسن الصّفات ومن تلك الصفات:

الصدق فلا يكذبون وأمّا الحديث الذي فيه «**كذب إبراهيم ثلاث كذبات**» فقالوا فيه إنّ إبراهيم عليه السّلام قال ما صوْرته صورة الكذب لكنّه صدقٌ من حيث الحقيقة فقوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ليس فيه كذب بل معناه إني سقيم من عبادتكم لما لا يستحقّ العبادة، وقوله عن زوجته سارة «**إنها أختي**» ليخلصها من كيد الملك الظالم الجبّار صدق في الحقيقة ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ ﴾، وأسند فعل تكسير الأصنام الصغار إلى الصّنم الكبير لأنه السبب الكبير في كفرهم وطغيانهم فقال ﴿ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾.

والأمانة فلا يخونون، فما ينسب إلى سيدنا داوود عليه السّلام في بعض الروايات المكذوبة من أنّه عشق امرأة قائد جيشه فأرسله إلى معركة خاسرة ليموت هناك ويأخذ امرأته فهذا لا يقبله أيّ مسلم.

والفطانة أي شدّة الذكاء فليس فيهم غبي بليد الذهن.

والشجاعة فليس فيهم جبان فرسول الله ﷺ لم يهاجر من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة هربًا من المشركين بل تنفيذًا لأمر الله تعالى وتأسيسًا لدولة الإسلام، وموسى عليه السّلام لم يهرب من فرعون.

وعصمهم **من الكفر** أي هم محفوظون من الكفر قبل أن يوحى إليهم بالنّبوّة وبعد ذلك أيضًا، وأمّا قول إبراهيم عليه السّلام عن الكوكب حين رءاه ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ فهو على تقدير الاستفهام الإنكاري فكأنّه قال: أهذا ربّي كما تزعمون، ثمّ لـمّا غاب ﴿ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ أي لا يصلح أن يكون هذا ربًّا فكيف تعتقدون ذلك، وكذلك فعل حين رأى القمر والشمس، وليس كما قال بعض أدعياء العلم في كتاب له (إنّ إبراهيم كان تائهًا لا يعرف ربًّا له) سبحانك اللهمّ هذا بهتانٌ عظيم.

والكبائر فيوسف عليه السّلام لم يَهُمّ بالزّنا من امرأة العزيز، حاشاه أن يفعل ذلك، وإنما معنى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ أنّ امرأة العزيز همّت بالفاحشة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أنّ يوسف عليه السّلام همّ بضربها وبدفعها.

وصغائر الخسّة أي إنّ الله عصمهم من التلبّس بالذنوب الصغيرة التي فيها خِسّة ودناءة كسرقة حبّة عنب فإنّ هذه صغيرة لكنّها تدلّ على دناءة نفس.

ولا يجوز في حقّهم الأمراض التي تنفّر النّاس منهم فيجب الحذر من القصّة المكذوبة التي فيها أنّ سيّدنا أيّوب عليه السّلام صار يخرج منه الدّود ويقع على الأرض فيردّه إلى جسده ويقول (كُلي من رزقك يا مخلوقة الله).

ولا سبق اللسان في الشّرعيّات والعاديّات أي أن يقولوا كلامًا لم يقصدوا قوله لأنّه لو حصل منهم ذلك لارتفعت الثقة في صحّة ما يقولونه .

قولهم في الملائكة

وأجمعوا على وجوب الإيمان بالملائكة أي بوجودهم وأنهم عباد مكرمون وهم أجسام نورانية لطيفة ألطف

من الهواء ليسوا ذكورًا ولا إناثًا لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإبليس ليس منهم ولا كان طاووس الملائكة بل إن جبريل عليه السّلام هو رئيسهم وأفضلهم، وما ينسب إلى الملكين الكريمين هاروت وماروت من الأفعال الشنيعة فهو كذب وافتراء لا صحة له وهو مناقض لقوله تعالى ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

قولهم في القَدَر:

وأجمعوا أنّ الله تعالى خالق لأفعال العباد كلّها كما أنّه خالق لأعيانهم، وأنّ كلّ ما يفعلونه من خير وشرّ اضطراري واختياري فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا ولا مخلوقين قال الله عزّ وجلّ ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فلمّا كانت أفعالهم أشياء وجب أن يكون الله خالقَها ولو كانت الأفعال غيرَ مخلوقة لكان الله عزّ وجلّ خالق بعض الأشياء دون جميعها ولكان قوله ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كذبًا، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قولهم في الوعد والوعيد:

وأجمعوا أنّ الوعيد المطلق في الكفّار والمنافقين، والوعد المطلق في المؤمنين والمحسنين.

وقالوا إنّ الله يغفر الكبائر والصّغائر لمن شاء من عباده المؤمنين المتجنّبين للكفر بنوعَيه الإشراكِ بالله تعالى الذي هو عبادة غيره والكفر الذي ليس فيه إشراكٌ كتكذيب الرّسول والاستخفاف بالله تعالى أو برسوله مع توحيد الله تعالى وتنزيهه. ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فالكفر بجميع أنواعه هو الذّنب الذي لا يغفره الله لمن استمرّ عليه إلى الموت وهو أقسام ثلاثة:

كفر اعتقادي ومكانه القلب كنفي صفة من صفات الله الواجبة له إجماعًا كنفي وجوده سبحانه أو تشبيهه بشيء من خلقه كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «**ومن وصَف الله بمعنًى من معاني البشر فقد كفر**».

وكفر **فعلي** كإلقاء المصحف في القاذورات أو أوراق

العلوم الشّرعيّة، أو ورقة عليها اسم من أسماء الله تعالى مع العلم بوجود الاسم فيها استخفافًا.

وكفر **قولي** كمن يشتم الله تعالى أو أنبياءه أو ملائكته، وكرمي المسلم بالكفر بلا سبب شرعي فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا قال الرّجل لأخيه يا كافرُ فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**» فقد حذّرنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث من أن نقول لمسلمٍ: يا كافرُ أو يا عدوَّ الله وأنّ من قال له ذلك بلا سبب شرعيٍّ فإنّه يعود عليه وبال هذه الكلمة.

وهنا لنا وقفة لنقول:

تصوّف لا تطرّف

تاريخ التطرّف:

ليعلم أنّ الإسلام دين اعتدال ووسطية لا إفراط فيه ولا تفريط، وأنّ الإفراط في الدين من دواعي التطرف البغيض الذي شوّه صورة الإسلام والمسلمين في عديد من دول العالم، وقد أخذ عبر العصور أوجهًا متعددة وتسميات مختلفة.

وهذا التطرّف البغيض ما هو إلا امتداد لجذور ابتدأت من الخوارج الذين قام مبدؤهم على فكرة الحاكميّة وأنّ من حكم بغير شرع الإسلام ولو في مسألة واحدة فهو كافر مطلقًا من غير تفصيل متأولين قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فكفّروا عليًّا ومن معه ومعاوية ومن معه لأنهم رضوا بالتحكيم، على أنّ معنى

الآية ليس الذي ذهبوا إليه، بل إنّ الصّحابيَّ الجليل البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «**إنّها نزلت في الكفّار وليس في المسلمين**» وقال ترجمان القرءان سيّدنا عبد الله بن عبّاس في تفسير الآية: «**كُفرٌ دون كُفر**» أي ليس بكفرٍ يخرج من الملّة.

وقد ثبت فيهم حديث: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرأون القرءان لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمِيَّة**».

وتفرّعت منهم طائفة تسمّى **البَيْهَسِيّة** انفردت عن سائر فرق الخوارج بقولهم: إنّ المَلِكَ إذا حكم بغير الشّرع صار كافرًا ورعاياه كفّارًا مَن تابعه ومَن لم يتابعه.

وللأسف وجدت هذه الطّائفة لها خلفًا في عصرنا هذا، ففي أواخر القرن العشرين ظهرت جماعات التكفير المطلق في عديد من الدّول العربيّة والإسلاميّة تحت شعار الدّعوة إلى الحكم بما أنزل الله، فكفّروا جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإن صلّوا وإن صاموا وزكّوا وحجّوا باعتبار أنّهم ليسوا من جماعتهم، وحكموا على مجتمعات المسلمين بأنّها

مجتمعات جاهلية وبالتّالي حكموا على ديارهم بأنّها دار كفر فاستجَرُّوا الكثير من الشّباب المتحمّس تحت هذا العنوان وأباحوا لهم أموال وأعراض ودماء من خالفهم، وقد سبّب هذا النّوع من التطرّف للوطن العربي سلسلة حوادث دمويّة طالت فئات المجتمع كافّة من علماء ومشايخ وقوى أمنية وأطفال ونساء وغيرهم، وكلّ ذلك باسم الإسلام كذبًا وزورًا.

أسباب التطرّف:

الحقيقة أنّ السّبب ليس شيئًا واحدًا فللتطرّف أسبابٌ متعدّدة منها ما هو نفسيٌّ ومنها ما هو اجتماعيّ ومنها ما هو تاريخيّ ومنها ما هو سياسيّ، وهي متداخلة متشابكة فلا ينبغي إغفال أيّ سببٍ منها.

ثمّ التطرّف حركة تبدأ ضمن أطر اجتماعيّة ضيّقة ولكنّها سرعان ما تتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد وأوسع.

والفرد المتطرّف قد يبدأ بتطبيق بعض تعاليم الإسلام ويدعو النّاس إلى الأخذ بذلك وهو حتّى هذه اللحظة يدعو إلى شيء لا يملك المجتمع إزاءه إلا التعبير عن الرّضا

والتشجيع، إلا أنّ هذا الفرد المتطرّف قد ينحو في مسيرته منهج التشدّد مع نفسه أوّلًا ثمّ مع الناس فيخالف تعاليم الإسلام ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾.

ثمّ يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بإدانة على من لا يتابعه في مسيرته أو دعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتّخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسّساته ويبدأ هذا الموقف أحيانًا بالعزلة والمقاطعة بناءً على إصدار حكم فرديٍّ على ذلك المجتمع بالردّة والجاهليّة، ثم يتحوّل هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف عدواني يرى معه هذا المتطرّف أنّ هدم المجتمع ومؤسّساته هو نوع من التقرّب إلى الله وجهاد في سبيله ويعمل على نشر هذا الفكر الفاسد في المجتمع.

وعند محاولة تشخيص الأسباب المؤدّية إلى التطرّف باسم الدّين يتّضح أنّها متعدّدة:

أوّلًا: الأسباب المتعلقة بالجهل بالأحكام الدّينيّة ومنها:

١ـ عدم الفهم الصّحيح للدين الإسلاميّ الحنيف ومبادئه وأحكامه، ومخالفة عقيدة أهل الحقّ التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

٢ـ الفشلُ في شرح الأحكام الشّرعيّة، وتعميمُ مسائل على خلاف الشرع.

٣ـ تعمّد تفسير نصوص شرعيّة على غير المراد منها، بسبب زيغ في القلوب وهوى ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ** ﴾.

٤ـ الجهل باللغة العربيّة التي هي مفتاح الفهم للنّصوص، مِمَّا أدّى إلى الجهل بالأحكام الشّرعيّة.

٥ـ حمل بعض الآيات والأحاديث على معانٍ ما أنزل الله بها من سلطان، من ذلك الادّعاء بأن كلّ ما استُحدث بعد رسول الله ﷺ من البِدَع فهو ضلالة يكفر مستحله وفاعله من غير تمييز بين ما وافق الكتاب والسنّة وإجماع الأمّة وغيره، مستدلين بحديث: «**وكلّ مُحدَثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة**»، على أنّ معناه ليس كما يقولون.

٦ـ الالتباس في فهم حقيقة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، لأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر في الإسلام له قواعد في الشّرع لا يلتزم بها هؤلاء.

٧ـ عدم تلقّي علم الدّين الصحيح بالطريق الصحيح من أهل المعرفة الثّقات، فعلى هؤلاء الشّباب أن يُراعوا التفقّه في أحكام الدّين على يد ذوي المعرفة والفهم الذين تلقَّوُا العلوم النّافعة على حسب الأصول المعتبرة عند أهل العلم، وقد أمرنا الله في كتابه العزيز أن نرجع فيما لا نعلم إلى العلماء من أهل الذِّكر والخبرة والمعرفة قال الله تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وقال جلّ ذكره ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ونحن نرى اليوم مَن يجترئ على الفتوى في أخطر القضايا، وإصدار الأحكام في أهمّ الأمور مثل جوهر العقيدة الإسلاميّة دون أن تكون عنده مؤهّلات الفتوى، وقد يخالف إجماع الأمّة وربّما يتطاول فيُخطِّئ

الآخرين ويُجَهِّلهم بدعوى أن أولئك رجال ونحن رجال وبزعم أنّه ليس مقلّدًا وأنّ من حقّه أن يجتهد وأنّ باب الاجتهاد مفتوح للجميع. وكونُ باب الاجتهاد مفتوحًا أمرٌ صحيح ولكنّ للاجتهاد شروطًا قد لا يملك هذا الـمُدَّعِي أيًّا منها.

٨ـ غياب الدّور العلميّ المعتدل المطلوب عند بعض المشايخ لدحض الفكر المتطرّف، ومناقشة الجوانب التي تؤدّي إلى التطرّف في الرّأي، خاصّة ما يتعلّق بالاجتهاد ومقوّماته، والجهاد وشروطه، والعلاقة بين الدّين والسّياسة، وأسلوب الدّعوة ونحو ذلك، يقول السيّد أحمد الرّفاعي الكبير قدس الله سرّه: «**عليكم أن ينصح فقيهُكم جاهلَكم وأن يقودَ كاملُكم ناقصَكم عملًا بقوله تعالى** ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ **لا بقهرٍ، ولا بغدرٍ، ولا بظلمٍ، ولا بكِبرٍ، ولا بعُلُوٍّ**».

ثانيًا: الأسباب الاجتماعيّة:

١ـ الإحباط الذي يلقاه الشّباب نتيجة افتقارهم إلى القدوة الصّالحة والمعلّم ذي الشّخصيّة المتميّزة.

٢ـ الخطأ في إدراك حقيقة المجتمعات الإنسانيّة وأسلوب الإصلاح.

يقول بعض أكابر الصّوفية: «ومهما عرفتَ هفوةَ مسلم بحُجّةٍ لا شكّ فيها فانصحه في السرّ ولا يخدعنّكَ الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه فينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بالاستصغار ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص، وينبغي أن يكون تركه لذلك النّقص بغير وعظك أحبّ إليك من تركه بوعظك».

٣ـ التفكّك الأسريّ الذي ينشأ نتيجة الطّلاق والإهمال وانشغال الأب وغياب الأمّ عن رِعاية الأبناء وتدبير أمورهم والإشراف عليهم، وتركهم لأمواج الفساد من الأفكار المتطرّفة وغيرها. قال رسول الله ﷺ: «ألا كلُّكم راع وكلّكم مسئولٌ عن رعيّته فالأمير الذي على النّاس راعٍ ومسئول عن رعيّته والرّجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيتِ بعلها

وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيّده وهو مسئول عنه ألا فكلّكم راعٍ وكلّكم مسئول عن رعيّته» رواه مسلم.

٤ـ انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والأنترنيت والتي لا ننكر نفعها إن استخدمت في الخير وبالطريقة الصحيحة، ولكنّنا فيما نسمع ونعلم أنها صارت المروّج الأساس للفساد الأخلاقي.

٥ـ إعراض الكثير من وسائل الإعلام على اختلافها عن دور التّوجيه والإرشاد والتّوعية الصحيحة ليعرف النّاس الفرق بين التديّن المحمود والتطرّف البغيض.

ثالثًا: الأسباب السّياسيّة:

١ـ الطمع بالمناصب الدُّنيويّة وحبّ السلطة وحُكم النّاس بناءً على الأهواء.

يقول سيّدنا وغوثنا السيّد أحمد الرفاعي قدّس الله سرّه: «**إخواني إن غَرَّكم لباسُ الحكّام والأعيان وزينتهم وسلاحهم وضاقت صدوركم بهذا فاذهبوا**

إلى المقابر وانظروا ءاباءكم وءاباءهم تجدوا الكلَّ في التّراب والله أعلم بمن هو في النّعيم وبمن هو في العذاب فأنتم كذلك مع هؤلاء تتساوَون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

٢ـ تشجيع أعداء الإسلام لحالة التطرّف بكافة السُّبُل ورصد الإمكانات الكبيرة لذلك.

٣ـ تمويل بعض الجهات للمتطرّفين ودعمهم وذلك بهدف المساس بالاستقرار الدّاخلي لبعض الدّول.

٤ـ إهمال السّجون من إدخال موجّهين علماء يخافون الله يقومون بتوجيه المساجين وتوعيتهم كي لا يكون السّجن وكرًا يتخرج منه المتطرّفون على أيدي مساجين يحملون أفكارًا هدّامة، وقد ثبت أنّ السيّد الجليل مولانا السيّد عبد القادر الجيلاني كان يدخل السّجون ويدرّس فيها فسلك على يديه قوم صاروا من خيار النّاس.

وما مرّ ذكره من الأسباب إن هو إلا على سبيل المثال لا الحصر.

مظاهر التطرّف:

١ـ إنّ أوّل مظاهر التطرّف هو التعصّبُ للرّأي الخاطئ تعصّبًا لا يعترف للآخرين برأي فالمتطرّف يرى أنّه وحده على الحقّ ومَن عَداه على الضلال.

٢ـ التشدّد في أمور في غير محلّها كالتشنيع على مَن ترك السّنن والنّوافل كأنّه ترك فرضًا، والحكم على من ترك بعض الأمور من الفروع بالكفر والإلحاد، من غير اعتبار لاختلاف المذاهب فيها من شافعية وحنفيّة ومالكية وحنبلية وغيرها من المذاهب المعتبرة.

٣ـ العنف في التعامل والخشونة في الأسلوب والغلظة في الدّعوة مما ينفّر النّاس، ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾.

٤ـ سوء الظنّ بالآخرين والنّظر إليهم نظرة تشاؤميّة، لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخّم سيّئاتهم، وتسارع إلى الاتهام والإدانة.

روى أبو داوود في السنن بسنده إلى أسامة بن زيد

قال: «**بَعَثنا رسول الله ﷺ سريَّةً إلى الحُرَقات فَنَذروا بنا فهربوا فأدْرَكنا رجلًا فلمّا غَشيناه قال لا إله إلا الله فضربناه حتى قتلناه فذكَرتُه للنّبيّ ﷺ فقال: مَن لك بلا إله إلا الله يومَ القيامة، فقلت: يا رسول الله إنّما قالها مخافة السّلاح، قال: أفلا شَقَقتَ عن قلبه حتّى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا، مَن لك بلا إله إلا الله يومَ القيامة**».

يقول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾.

٥- إسقاط حُرمة المسلمين باستباحة دمائهم وأموالهم بغير حقّ، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لَقتلُ مؤمن أعظم عند الله من زوال الدُّنيا**» رواه النّسائي.

٦- الطّاعة المطلقة العمياء لأمير الجماعة في كل شيء والذي قد يكون ليس من أهل العلم والتحقيق والتدقيق، وكلّ الصّوفية يقولون «**سلِّم للقوم أحوالهم ما لم يخالفوا الشّرع، فإذا خالفوا الشّرع فاتركهم وكن مع الشّرع**».

٧ـ العُزلة عن المجتمع في بيئات تبتدئ ضيقة وسرعان ما تتوسع لتشكل حالة شاذة تضرب سماحة الدين وقد ورد في الحديث الشّريف: «**المؤمن الذي يخالط النّاس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من المؤمن الذي لا يخالط النّاس ولا يصبر على أذاهم**» رواه ابن ماجه.

الطّرُق الصّوفية ودورها في محاربة التطرّف

صعد أبو إسحاق الإسفراييني بعض جبال لبنان فوجد قومًا من الصّوفية قد انقطعوا هناك وانعزلوا عن النّاس، يأكلون من بقول الأرض ويشربون من الينابيع والأنهار فقال لهم: «**يا أكَلَةَ الحشيش أيَسُرُّ محمّدًا ﷺ أن تهربوا إلى هنا وتتركوا أُمَّتَه تعبَثُ بدينها المبتدعة؟!**».

إنّ من الأسباب الرئيسة لانتشار ءافة التطرّف في مجتمعاتنا هو خلوّ الساحات لأصحاب هذا الفكر وتقوقع العلماء والمشايخ في البيوت وعدم الخروج للنّاس بحجّة أنّ الخرق اتّسع على الرّاقع، وليست بحجّة، فلو حملتم أيّها الرفاعية وأنتم أيّها القادرية وأنتم أيّها النّقشبنديّة والجشتيّة والشّاذليّة والشنبكيّة والبدويّة والجنيديّة والدسوقيّة والسّعديّة إلى سائر طُرُق أهل الله، لو حمل كلٌّ منكم إبرة وخيطًا لسددتم هذا الخرق بكلّ سهولة.

يقول الله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ

لِيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

تعالوا نخرج إلى النّاس نفقههم في دينهم ونعرّفهم سماحة الدّين وجماله، يقول سيّدنا الغوث محمّد مهدي بهاء الدّين الروّاس في كتابه طيّ السِّجِل:

«أحكام هذا الدّين المُبِين هي معراج المؤمنين إلى تقديس ربّ العالمين وهي:

أن تؤمن بالله واليوم الآخر والكتاب والنبيّين، والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشرّه من الله تعالى، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، وتقيم الصّلاة بإسباغ الوضوء لوقتها بتمام ركوعها وسجودها، وتؤتي الزّكاة بحقّها، وتصوم شهر رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت، وتصلّي الخمس والسّنن، ولا تأكل الرّبا، ولا تشرب الخمر، ولا تحلف بالله كاذبًا، ولا تشهد شهادة الزّور على أحدٍ قريبٍ أو بعيد، ولا تعمل بالهوى، ولا تعب أخاك، ولا تقع فيه من خلفه وقدّامه، ولا تقذف المحصنة، ولا تقل لأخيك يا مُرائي فيحبط [redacted]، ولا تَلْهُ مع اللاهين، ولا تقل للقصير يا قصير تريد عيبه، ولا تسخر بأحدٍ من النّاس، ولا تأمن

عقاب الله، ولا تمش بالنّميمة فيما بين الإخوان، واشكر الله على كلّ نعمة، واصبر عند البلاء، واستغفر عند الخطيئة، ولا تقنط من رحمة الله، واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تطلب سخط الرّبّ برضا المخلوق، ولا تؤثر الدّنيا على الآخرة، وإذا سألك أخوك المسلم ممّا عندك فلا تبخل عليه، وانظر في أمر دينك إلى من هو فوقك وفي أمر دنياك إلى من هو دونك، ولا تكذب، ولا توافق الشّيطان، ودعِ الباطل ولا تأخذ به، وإذا سمعتَ حقًّا خذ به ولا تكتمه، وأَدّب أهلك وولدك بما ينفعهم عند الله تعالى ويقرّبهم إلى الله عزّ وجلّ، وأحسن إلى جيرانك، ولا تقطع أقاربك وذوي أرحامك وصِلهم، ولا تلعن أحدًا من خلق الله تعالى بغير حقّ، وأكثر التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، ولا تدع قراءة القرءان على كلّ حال إلا أن تكون جنبًا، ولا تدع حضور الجمعة والعيدين، واطرح كلَّ ما لم ترضَ أن يقال لك ويُصنَع بك فلا ترضى ذلك لأحد، وتحقّق بالخوف من الله تعالى، واجعل الإنصافَ دأبَك في كلّ أمورك، ولا تعلُ، ولا تغلُ، ولا تقل على الله إلا الحقّ، وافنَ بمحبّة نبيّك وءاله وأصحابه، وعظّم مقادير الأنبياء

والأولياء والعلماء أهل الحقّ، وطهّر نفسَكَ من الحسد فهو خُلُق إبليس، وجانب أهل الباطل، وحذّر المسلمين من المبتدعين، وانصر كلمة الله والله تعالى ينصر مَن ينصره وكفى بالله وليًّا».

خذوا أيّها الصّوفيّة بأيدي التّائهين الغافلين المذنبين بالرفق والحنان والشّفقة.

يُروى أنّ بِشرَ بن الحارث الحافي لقيه رجلٌ سكران فأقبل عليه وجعل يقبّله ويقول: يا سيّدي يا أبا نصر والله إنّي أحبّك، وبِشر لا يدفعه عن نفسه، فلمّا ولّى تغرغرت عينا بِشر وقال: «**رجلٌ أَحبَّ رجلًا على خيرٍ توهّمه، لعلّ المُحبّ قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله**».

ولقد كان محدّث الدّيار الشّامية الشيخ الصّوفي بدر الدين الحسني يدور في الليل على السكارى والحشّاشين النّائمين في الطرقات فيلقي ثيابه عليهم ليقيهم شدّة البرد فيستيقظون في الصّباح ويشمّون العطر الذي يخرج من ثوبه فيأتونه تائبين.

يقول السيّد الكبير الرفاعي أمدّنا الله بمدده: «**أنا شيخ مَن لا شيخ له، أنا شيخ المنقطعين، أنا مأوى كلّ شاة عرجاء انقطعت بها الطريق**».

عرّفوهم حقيقة التصوّف الحقيقي الصّافي من الشّوائب، وبراءته ممّا ينسب إليه، فكم وكم افترى الوهّابيّة وأمثالهم على الطّائفة الصوفيّة، وامتلأت صفحات الانترنيت بالتحذير من الصوفيّة وبذلت الأموال الكثيرة في طباعة الكتب التي تشوّه صورتهم مستشهدين بما في بعض كتب أكابر الصّوفيّة كابن عربي والشعراني والسيد أحمد والسيّد عبد القادر وغيرهم من الدسّ، على أنهم برءاء ممّا دُس عليهم.

أو بكلام أناس نُسِبوا إلى الطائفة وليسوا منها كالحلّاج الذي نبذه أكثر الصّوفيّة فقالوا «**هذا ليس من الصّوفيّة**»، كأبي عبد الله عمرو بن عثمان الصّوفي المكّي الذي دخل مرّة عليه فوجده يكتب شيئًا فقال له: ما هذا؟ فقال له: «هذا شيء أعارض به القرءان»، فصار عمرو بن عثمان كلّما بلغه أنّ الحلّاج بأرض كذا يرسل التحذير منه، وقال فيه سيّد الطّائفة الصّوفية الإمام الجنيد: « **إنّه مدّعٍ**» وقال له مرّة: «**لقد فتحتَ في الإسلام ثغرةً لا يسدّها إلا رأسك**» فقتل بعد ذلك بتسع سنين، وقال فيه السيّد أحمد: «**لو كان على الحقّ ما قال أنا الحقّ**».

ادّعت الوهّابيّة أنّ الطرق الصّوفية هي من البدع

المحرّمة المخالفة للدّين التي تندرج تحت حديث «**وكلّ بدعة ضلالة**»، جاهلين أنّ البدعة لا تذمّ مطلقًا من غير تحقيقٍ وعرضٍ على الشريعة وقواعدها بدليل الحديث الشّريف «**من أَحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» ففيه أنّ مَن أحدث ما هو منه أي ما هو موافق له فليس مردودًا، فالحديث حجّة عليهم لا لهم، وممّا يدل على ذلك ما أحدثه سيّدنا عمر في التلبية من الزّيادة على الأصل الذي علمهم إياه رسول الله ﷺ وهو «**لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمدَ والنّعمة لك والمُلك لا شريك لك**» فزاد سيّدنا عمر «**لبّيك اللهمّ وسعديك، الخير في يديك، والعمل والرّغباء إليك**» فلم يعِب عليه أحدٌ من الصّحابة لأنّه زاد على تلبية رسول الله ﷺ ما يوافقها، والحديث رواه الترمذي.

كذلك جمعه للنّاس على قارئ واحد في صلاة التراويح بعد أن كانوا يصلّون أوزاعًا متفرّقين وقال: «**نعمت البدعة هذه**».

وأحدثَ سيّدنا عثمان أذانًا ثانيًا يوم الجمعة ولم يكن هذا الأذان الثّاني في أيّام رسول الله ﷺ، وما زال النّاس على هذا الأذان الثاني يوم الجمعة في مشارق الأرض ومغاربها وقد

روى ذلك عن سيّدنا عثمان الإمام البخاريّ في صحيحه.

وكذلك أحدث الصّحابيُّ الجليل خُبَيبُ بن عَدِيّ صلاة ركعتين عند القتل، فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: «**فكان خُبَيبٌ أوّلَ مَن سَنَّ الرّكعتَيْنِ عند القَتل**».

ومن الـمُحدَثات الموافقة للشّريعة أيضًا تنقيط التّابعيّ الجليل يحيى بن يَعمَر المصحف، فالصّحابة الذين كتبوا الوحيَ الذي أملاه عليهم الرّسول ﷺ كانوا يكتبون الباء والتاء ونحوَهما بلا نَقْطٍ.

وكذلك عمل المحاريب للمساجد فقد استحدثت في القرن الأوّل استحدثها الخليفة سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكذلك المآذن والقباب لم تكن في الصّدر الأول.

وكذلك كتابة ﷺ بعد كتابة اسم النبيّ لم تكن في أيّام النّبيّ فإنّ الرّسول ﷺ لـمّا كَتَب كِتابًا - أي أمر بكتابة الكتاب - إلى هرقل كتب فيه «**مِن محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم**» من دون كتابة ﷺ عَقِبَ اسمه كما أورده

البخاريّ في أوّل صحيحه، فما للوهّابيّة لا ينكرون هذا بل يفعلونه كما يفعله غيرهم ويُنكرون أشياء كالمولد والطّريقة بدعوى أنّ الرّسول ﷺ لم يفعله؟! فظهر أنّهم مُتَحكّمون بآرائهم، فما استحسنته نفوسهم أقرّوه وما لم تستحسنه أنكروه، ليس عندهم ميزان شرعي.

حتى إنّهم حرّموا الصّلاة على النّبيّ جهرًا عقب الأذان حتّى قال قائلهم حين سمع المؤذّن يقول الصّلاة والسّلام عليك يا رسول الله: «هذا حرام هذا كالذي ينكح أمّه»!!! والعياذ بالله تعالى، بل أمر زعيمهم محمّد بن عبد الوهّاب بقتل المؤذّن الأعمى الذي صلّى على النّبيّ عقب الأذان جهرًا.

ماذا يقولون في الحديثَين اللذين ثبتا عن رسول الله ﷺ حديث: «**إذا سمعتُمُ المؤذّن فقولوا مثلما يقول ثمّ صلّوا عليّ**» وحديث: «**مَن ذَكَرني فليُصَلِّ عَلَيَّ**» والحديث الأوّل رواه مسلم والثّاني أخرجه الحافظ أبو يَعلى والحافظ السّخاوي في كتابه «القول البديع في الصّلاة على النّبيّ الشّفيع» وقال: لا بأس بإسناده، والحديثان يؤخذ منهما أنّ المؤذّن والمستمع كليهما مطلوب منه الصّلاة على النّبيّ، وهذا يحصل بالسّرّ والجهر، ماذا يقولون بعد هذا؟!

ومن البِدَع الحسنة أيضًا الاحتفال بمولد النّبيّ ﷺ الذي أحدثه الملك الـمُظَفَّر ملك إربل في أوائل السّتمائة للهجرة الشّريفة وكان عالـمًا تقيًّا شُجاعًا، ووافقه على ذلك العلماء والصّوفيّة الصّادقون في مشارق الأرض ومغاربها؛ منهم الحافظ أحمدُ بن حجر العسقلاني وتلميذه الحافظ السّخاوي وكذلك الحافظ السّيوطي، وللحافظ السّيوطي رسالة سمّاها «**حُسنُ المَقصِد في عمل المولد**».

قال الإمام الشّافعيّ رضي الله عنه: «**المُحدَثات من الأمور ضربان: أحدهما ما أُحدِثَ ممّا يخالف كتابًا أو سُنّة أو إجماعًا أو أثَرًا فهذه البِدعة الضّلالة، والثّانية ما أُحدِثَ منَ الخير ولا يخالف كتابًا أو سُنّةً أو إجماعًا وهذه مُحدَثةٌ غيرُ مذمومة**» رواه البيهقي بالإسناد الصحيح في كتابه «**مناقب الشّافعي**».

وهذا التقسيم للبدعة مفهوم من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها بعدَه من غير أن يَنقُصَ من أجورِهم شيء، ومَن سنّ في الإسلام سُنّة سيّئةً كان عليه وِزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها بعدَه من غير أن يَنقُصَ من أوزارهم شيء**» رواه مسلم.

فإن قيل: هذا معناه مَن سنّ في حياة رسول الله ﷺ أمّا بعد وفاته فلا، فالجواب: أن يُقال «**لا تثبتُ الخصوصيّة إلا بدليل**» وهنا الدّليل يعطي خلاف ما تدّعون حيث إنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن سنّ في الإسلام**» ولم يقل من سنّ في حياتي ولا قال مَن عَمِلَ عملًا أنا عملتُه فأحياه، ولم يكن الإسلام مقصورًا على الزّمن الذي كان فيه رسول الله ﷺ فبَطَلَ زعمكم.

فإن قالوا: الحديث سببه أنّ أُناسًا فقراء شديدي الفقر يَلْبَسون النِّمارَ جاؤوا فتَمَعَّر وجه رسول الله ﷺ لِما رأى من بؤسهم فتصدَّق النّاسُ حتى جمعوا لهم شيئًا كثيرًا فتهلَّلَ وجه رسول الله ﷺ فقال: «**مَن سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَن عمِلَ بها**» فالجواب أن يُقال: العِبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السّبَب كما ذكر الأصوليُّون.

وأمّا الحديث الذي فيه: «**وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة**» فلا يدخل فيه البدعة الحسنة لأنّ هذا الحديث من العامّ المخصوص، أي أنّ لفظه عامٌّ ولكنّه مخصوصٌ بالبِدعة المخالفة للشّريعة بدليل الحديث السّابق الذكر الذي رواه مسلم: «**مَن سنّ في الإسلام سُنّةً حسنةً فله أجرُها**» الحديثَ،

وذلك لأنّ أحاديث رسول الله ﷺ تتعاضد ولا تتناقض، وذلك لأنّ تخصيص العامّ بمعنًى مأخوذٍ من دليلٍ نقليٍّ أو عقليٍّ مقبولٌ عند جميع العلماء، فلو تُرِكَ ذلك لضاعَ كثيرٌ من الأحكام الشّرعيّة ولَحَصَل تناقُضٌ بين النّصوص، فأهل العلم هم الذين يعرفون أنّ هذا العموم مخصوصٌ بدليل ءاخر عقليّ أو نقليّ.

ومعناه أنّ أكثر البدع بدع ضلالة لأن كلمة (**كل**) في لغة العرب تأتي بمعنى الأغلب.

ومن جملة البدع السيّئة ما يفعله بعض المتشبهين بالصّوفيّة صورةً بلا حقيقة من تحريف اسم الله إلى (ءاه) - الذي هو في الأصل لفظ وُضِع للشِّكاية والتوجّع- في مجالس الذّكر، بدل أن يقولوا (الله) يقولون (ءاه) أو (أَه) أو (إِه) أو (أَح) وغلا بعضهم في ذلك حتى قال: إنّ (ءاه)أقرب للفتوح من الله!!! على زعمهم إنّ الذي يقول (ءاه) يصل إلى الولاية ويصير عنده كشف ربّاني ويصير من أهل الدرجات العُلى أسرع من الذي يقول (الله)، وهذا ضلال مبين، فَـتَنهم هواهم، والشيطان لبّس عليهم فأضلّهم وخيّل إليهم أنّ عملهم هذا هو في حُبّ الله وهو في الحقيقة معصية لله تعالى.

وهم يستشهدون بحديث مكذوب وفيه أنّ مريضًا في زمان الرّسول صار يئنّ من الألم فنهاه بعض النّاس فقال لهم الرّسول: دعوه يئنّ فإنّ الأنين اسم من أسماء الله.

ولو كان لفظ (ءاه) اسمًا من أسماء الله كما يقول هؤلاء لم يقل الفقهاء ببطلان صلاة من قال (ءاه) متعمّدًا ذاكرًا أنّه في الصّلاة وذلك باتّفاق المذاهب الأربعة.

قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾.

أمّا الطرق الصّوفيّة كالرّفاعيّة والقادريّة والنقشبنديّة وغيرها والتي تبلغ نحو الأربعين طريقةً فهي من النّوع الأوّل، من البدع الحسنة التي يثاب فاعلها، وأصلها مأخوذ من مبايعة الصّحابة لرسول الله ﷺ. فالطريقة هي أخذ العهد على الشيخ على مداومة ذِكر الله وطاعته.

ومشايخها لم يستحدثوها لهوى نفسٍ ولا لجمع مال أو جاهٍ دُنيوي وشهرة بين النّاس بل هم كما قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يُحبُّ الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يُفتَقَدوا، وإن حَضَروا لم يُدعَوْا، قلوبُهم مصابيح الهُدى، يَخرجون من كلّ غَبْرَاءَ مُظلِمَة**».

قـومٌ هُمومُهـمُ بـالله قـد عَلِقَـت

فـما لهـم هِمَـمٌ تَسـمُو إلى أَحَـدِ

فَمَطلَـبُ القومِ مَولاهُم وسـيّدُهم

يا حُسـنَ مَطلَبِهِم للواحِـدِ الصّمدِ

مـا إن تَنَازَعُهُـم دُنيـا ولا شَرَفٌ

مـنَ المطاعِـمِ واللـذّاتِ والوَلَـدِ

ولا لِلُبْسِ ثِيَابٍ فائِقٍ أَنِـقٍ

ولا لِـرَوْحِ سُرورٍ حَـلَّ في بَلَـدِ

إلا مُسَـــــارَعَةً في إثْـــرِ مَنزِلَـةٍ

قد قـارَبَ الخَطْـوَ فيها باعِـدُ الأبَدِ

فهُـم رهائِـنُ غُـدْرانٍ وأَوْدِيَـةٍ

وفي الشّـوامِخِ تَلْقاهُـم مـعَ العَـدَدِ

هكذا كان أشياخ الطرق، فرسان ميادين الحقيقة، يدلّون على الله بالذلّ والخضوع، ما أهملوا الشريعة بل عظّموا شأن الفقهاء والعلماء ولم يقولوا هؤلاء أهل الظاهر

ونحن أهل الباطن، هذا الدّين الجامع باطنه لبّ ظاهره، والعلماء وُرّاث الشريعة وحملة أحكامها الذين يعلّمونها للنّاس وبها يصل الواصلون إلى الله إذ لا فائدة بالسّعي والعمل على الطريق المغاير للشرع فالعلماء ورثة الأنبياء ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدّين وما اتّخذ الله وليًّا جاهلًا ولو اتّخذه لعلّمه.

صَدقوا مع الله فصدّقهم النّاس وزهدوا بما في أيديهم فأحبّوهم وزهدوا في الدّنيا فأحبهم الله وتواضعوا لله فرفعهم الله وذاع صيتهم بين العباد فكثر الانتفاع بهم.

وخرق الله لهم العادات فألان لهم الحديد وقرّب لهم البعيد، وأذهب لهم حرّ النّار وفيهم مَن حلّق وطار وعلى وجه الماء سار، وذلل السّباع والأفاعي للسيّد الرّفاعي، وخافت الجان من السيد عبد القادر وافد جيلان، وأنقذ السيّدُ البدويُّ الأُسارى وصار سُجّانهم حيارى.

وأنكرها عليهم الوهّابيّة وأمثالهم ممن حُرموا منها وقالوا إنّما هي شعوذة وسحر وأحوال شيطانيّة وادّعوا أنّ الرّفاعيّة يضعون على أبدانهم مراهم وأدويةً ويدخلون النيران

فلا تحرقهم بسبب هذه الأدوية والمراهم، فلم لا يفعلون هم ذلك ليثبتوا بطلان هذه الكرامات على زعمهم؟!!

أوليس ثبت أنّ الأسود العنسي الذي ادّعى النبوّة رمى سيّدنا أبا مسلم الخولاني في النار فلم تحرقه ولا ثيابه فنفاه فتوجّه إلى المدينة المنوّرة فلقيه سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه وقبّله بين عينيه وقال له: «**الحمد لله الذي جعل في أمّة محمّدٍ مثل خليل الله إبراهيم رجلًا لا تحرقه النّار**»، فماذا يقولون؟ إنّ أبا مسلم الخولاني الذي كان قبل الرفاعيّة بمئات السنين يملك ذلك الدواء؟

ثمّ كرامات الأولياء ثبتت بنصّ القرءان في نحو قوله تعالى في حقّ السيّدة مريم ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ وقوله تعالى في حقّ صاحب سيّدنا سليمان ءاصف بن برخيا الذي أحضر له عرش بلقيس بطرفة عين ﴿**قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ وبنصّ حديث رسول الله ﷺ في حقّ سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**كان فيمن كان**

قبلكم **مُحَدَّثون، وإن يكن في أمّتي منهم أحد فعمر**». ومعنى «**مُحَدَّثون**» مكاشفون، يطلعهم الله على بعض الغيب.

وقال رسول الله ﷺ: «**اتّقوا فِراسَةَ المؤمن فإنّه ينظر بنور الله**».

ولقد كانت الكرامات بين الصّحابة معروفة فلقد رأى أبو بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه شخصًا لم يكن لقيه قبل ذلك فقال: «**أُلقِيَ في رُوعِي أنَّ ذا بَطْنُ بنتِ خارجة**» فكان كما قال، وسبّح الطعام والحصى بين يديه.

ونادى سيّدُنا عمرُ ساريةَ الذي كان في وجه العدوّ بعيدًا عن المدينة مسيرة شهر وهو يخطب على المنبر في المدينة المنوّرة: **يا ساريةُ بنَ حِصنٍ الجبلَ الجبلَ**، فسمعه سارية مع بعد المسافة وانحاز هو والجيش ناحية الجبل وهزموا العدو.

وخرج عبّاد بن بِشر وأُسيد بن حضير من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاءت عصا أحدهما فمشيا بنورها فلما افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر.

وتبقى الكرامة في أولياء أمّة الحبيب المصطفى ﷺ إلى يوم القيامة وهي نائلة بإذن الله من استقام في طاعة الله، فعين

الكرامة الاستقامة كما قال سيّدنا الإمام أبو حنيفة النّعمان رضي الله عنه.

فمن ءامن بالله ورسوله وأدّى الواجبات واجتنب المحرّمات وداوم على نوع من النّوافل فإن الخوارق والكرامات ليست بعيدة عنه فلقد قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «**مَن عادى لي وليًّا فقد ءاذنته بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشىء أحبَّ إليَّ ممّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرّبُ إليَّ بالنّوافل حتّى أُحِبَّه فإذا أحببتُه كُنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به، وبصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها وإن سألني أعطيتُه ولئن استعاذني لأعيذنّه**» رواه البخاري.

ومعنى «**كُنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به، وبصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها**» أنّ الله يجعل في هذه الأعضاء البركة، فيقدره الله أن يفعل بهذه الأعضاء ما لا يستطيعه غيره.

أيّها الصّوفيّة

أحيوا التّصوّف وأعيدوا الزوايا وارفعوا السناجق والرّايات وسيّروا النّوبات واجمعوا النّاس على محبة اللهّ وعلى طاعته وذِكره حتى لا تسبقكم إليهم فرق التطرّف والعقائد الفاسدة.

والحمد للهّ أوّلًا وءاخرًا

نسَب المؤلّف إلى النّبي ﷺ

هو السيّد الشّريف الشيخ الدكتور عماد الدّين أبو محمّد أبو الفضل جميل الهاشمي القرشي الأشعريّ الشّافعيّ الحسينيّ الرفاعيّ القادريّ خادم الآثار النبوية الشريفة، رئيس جمعية المشايخ الصوفيّة، ابن السيّد محمّد بن السيّد عبد الحليم ابن السيّد قاسم بن السيّد أحمد بن السيّد قاسم ابن السيّد عبد الكريم بن السيّد عبد القادر بن السيّد عليّ بن السيّد محمّد بن السيّد ياسين بن السيّد اسماعيل بن السيّد حسين ابن السيّد محمّد بن السيّد ابراهيم بن السيّد عمر بن السيّد حسن بن السيّد حسين بن السيّد بلال بن السيّد هارون ابن السيّد عليّ بن السيّد عليّ أبي شجاع بن السيّد عيسى بن السيّد محمّد بن أبي طالب بن السيّد محمّد بن السيّد جعفر بن السيّد الحسن أبي محمّد بن السيّد عيسى الرومي بن السيّد محمّد الأزرق بن السيّد أبي الحسن الأكبر عيسى النّقيب بن السيّد محمّد بن السيّد عليّ العُرَيْضي بن الإمام جعفر الصّادق ابن الإمام محمّد الباقر بن الإمام السجّاد عليّ زين العابدين

ابن الإمام السّبط السّعيد الشهيد الحسين بن السيّدة الجليلة الزكيّة الطّاهرة فاطمة البتول زوجة أمير المؤمنين أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وابنة رسول ربّ العالمين خاتم النّبيين والمرسلين محمّد صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدّين[1].

---

١) وهذا نسبٌ شريفٌ صحيحٌ بلا مِرْيَةٍ مضبوط في كتاب جامع الدّرر البهيّة بأنساب القرشيّين في البلاد الشّاميّة، جمع الدكتور الشّريف كمال الحوت الحسيني، شركة دار المشاريع الطبعة الثانية ص ٣٣٢ - ٣٣٣ تاريخ ٢٠٠٦ر - ١٤٢٧هـ، وفي كتاب غاية الاختصار في أنساب السادة الأطهار، ويليه المستدرك الطبعة الثالثة ص ١ ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠ر، وفي كتاب الحقائق الجليّة في نسب السّادة العريضية ص ٤٣٣ - ٤٣٤ كلاهما للدكتور الوليد العريضي الحسيني البغدادي.

من آثار المؤلف

١- إتحاف المسلم بإيضاح غريب صحيح مسلم.

٢- أسرار الآثار النبوية أدلة شرعية وحالات شفائية وصور نادرة للآثار المحمدية.

٣- بحر الدلائل والأسرار في التبرك بآثار المصطفى المختار.

٤- البركان الجارف لشرح المجسم ابن أبي الغر التالف.

٥- البرهان المبَيَّن في ضوابط تكفير المعَيَّن.

٦- البيان والتوضيح في أن قول النّبي في معاوية «لا أشبع الله بطنه» ليس منقبة له ولا فضيلة بل دعاء عليه وذم صريح.

٧- تحذير اللبيب من بعض ما في الكتب من الأكاذيب.

٨- التَّشرُّف بذكر أهل التصوف.

٩- التعليق المفيد على شرح جوهرة التوحيد.

١٠- الحجج النيرات في إثبات تصرف النّبي والولي بعد المات.

١١- الشهد المذاب من زهر المحبة بين الآل والأصحاب.

١٢- طالعة الأقمار في سيرة سيد الأبرار.

١٣- الفرقان في تصحيح ما حرف تفسيره من ءايات القرءان.

١٤- فصل الكلام في أن إجهاض الجنين الحي وإحراق النفس وما يُسمَّى تأجير الأرحام والتبرع بالأعضاء إثم وحرام.

١٥- قرة العينين في تربية الأولاد وبر الوالدين.

١٦- القمر الساري لإيضاح غريب صحيح البخاري.

١٧- القواعد القرءانية والأصول الإيمانية في تنزيه الله عن الجسمية والصورة والكيفية.

١٨- عمدة الكلام في إثبات التوسل والتبرك بخير الأنام (وهو عبارة عن مصورات كتب العلماء في الموضوع).

١٩- لآلئ الكنوز في إباحة الرقية وحمل الحروز.

٢٠- لباب النقول في تأويل حديث النزول.

٢١- لطائف التنبيهات على بعض ما في كتب الحديث من الروايات.

٢٢- النجوم السارية في تأويل حديث الجارية (وهو عبارة عن مصورات كتب أهل السّنة والجماعة في الموضوع).

٢٣- نقل الإجماع الحاسم في بيان حكم الجهوي والمجسم.

٢٤- نيل المرام في الوارد في اللحم والشحم من الأحكام.

٢٥- كشف الأوهام عمن زاغ باتباع المتشابه من الأنام.

٢٦- الارتواء من اخبار عاشوراء، ودمع العين على استشهاد الإمام الحسين.

٢٧- البحر الجامع لمناقب القطب الرفاعي اللامع.

٢٨- مريم والمسيح في القرءان.

٢٩- جامع الرسائل الإيمانية في بيان العقيدة الإسلامية.

٣٠- حقيقة التصوف الإسلامي.

٣١- جمع اليواقيت الغوالي من أسانيد الشيخ جميل حليم العوالي.

وهو عبارة عن ثبته الصغير يذكر فيه شيئًا من إجازاته واسانيده التي بلغت المئات طُبع ٢١ جمادى الأولى ١٤٣٤ الموافق ٢ نيسان ٢٠١٣ر.

الفهرس

التوطئة ٣
مقدّمة ١٠
لم سُميت الصوفية صوفية ١٥
من هو الصوفي ١٨
مُعْتقد الصّوفية ٢٤
قولهم في التوحيد ٢٤
قولهم في المحكم والمتشابه من الكتاب والسنّة ٢٧
قولهم في الرّؤية ٣٧
قولهم في الأنبياء والرّسل ٣٨
قولهم في الملائكة ٤٠
قولهم في القَدَر ٤١
قولهم في الوعد والوعيد ٤٢
تصوّف لا تطرّف ٤٤
تاريخ التطرّف ٤٤
أسباب التطرّف ٤٦
أوّلًا: الأسباب المتعلقة بالجهل بالأحكام الدّينيّة ٤٨
ثانيًا: الأسباب الاجتماعيّة ٥٠
ثالثًا: الأسباب السّياسيّة ٥٢
مظاهر التطرّف ٥٤
الطّرُق الصّوفية ودورها في محاربة التطرّف ٥٧
أيّها الصّوفيّة ٧٤
نسَب المؤلّف إلى النّبي ﷺ ٧٥
من آثار المؤلف ٧٧